حجاجية الاستعارة في شعر ابن الأبار الأندلسي (السينية أنموذجا)

أ.م. د. خالد شكر محمود

جامعة سامراء -كلية الآداب-قسم اللغة العربية

الملخص

يهدف البحث المسوم(حجاجية الإستعارة في شعر ابن الأبار الأندلسي الى الكشف عن الجانب الإقناعي في سينية ابن الأبار من خلال سعي الشاعر الى التأثير في المتلقي عن طريق صرخات اواستنجادات مدويه تهز النفوس والوجدان بثها عن طريق الأستعارة الحجاجية التي ترمي الى الاقناع والتأثير والزام الحجة للممدوح ، مما جعل منها حدثا تواصليا تفاعليا باختلاف متلقيها في الزمان والمكان، حتى غدا استنجاد ابن الأبار استنجاد أهل الأندلس وأهل المغرب والمشرق والمسلمين حتى بعد قرون من الزمن. وللكشف عن ذلك التواصل التفاعلي، تعتمد الدراسة التحليل اللساني الحجاجي باعتباره ينظر إلى المنجز الأدبي على أنه ممارسة لغوية، يهدف منتجه إلى استمالة متلقيه والتأثير فيه بوساطة التصوير الإستعاري حتى يظفر بالنتيجة المتوخاة.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ،والصلاة والسلام على إمام الصادقين ،وعلى آله وصحبه أجمعين وأما بعد ..شكل الحجاج بؤرة هامة للدارسين في العقود الأخيرة ، و ذلك من خلال الكتابات و الأبحاث الكثيرة التي صيغت بخصوصه، و التي لا تقتصر على مجال واحد، بل تهم مجالات متعددة؛ لأن الحجاج أصبح جزءاً من حياتنا اليومية ، فهو يمتد إلى جميع أنماط الخطاب و يتمظهر بأشكال مختلفة. في هذه الحياة سواءً اليومية و العائلية و السياسية ، فالحجاج يحضر بقوة في كل الممارسات الخطابية و يطبع كل أشكال العلاقات الإنسانية، ويتأتى ذلك من خلال النظر الى النص الأدبي على أنه ليس لمجرد الإمتاع والتسلية الفكرية والعاطفية التي تصنعها اللغة، وإنما هي محاولة للجمع بين التراث والحداثة ويوظف الدراسات اللسانية الحديثة والأفكار النقدية المعاصرة والمفاهيم البلاغية القديمة لغرض الكشف عن خبايا التراث وإمكانياته وأسراره وطاقاته الإبداعية الغير محدودة. وانطلاقا من ذلك وقع الاختيار على موضوع حجاجية الإستعارة في شعر ابن الابار الاندلسي (سينية إبن الأبار إنموذجاً) باعتبارها آلية حوارية تداوليةً تواصلية تسهم في خدمة النصوص الشعرية بأبعادها المختلفة.وبما إن الحجاج يتخذ شتى أساليب الكلام آليات أو أدوات حجاجية غايته التأثير في المتلقي فلا يخلو أي خطاب من هدف يرمي المرسل ،ولاسيما عند الجنوح الى الأساليب اللغوية المتميزة النابعة عن طبائع المرسل المتوجهة الى كسب احاسيس المتلقي ، فأساليب الزخرف والزينة التي اعتبرت عند الكثير من المتقدمين زخرفاً لا حاجة اليه ، ولا طائل من ورائه ، أصبحت من خلال النظرية الحجاجية المعاصرة وسائل حجاجية إقناعيه ، وأهم ما نعنيه من ذلك الاستعارة بمختلف أشكالها وأنواعها ، فضلا عن كونها أداة زخرفة وعنوان بيان ، فأنها تحوي من الإيحاء والغموض ما تجعل المتلقي يشارك في الخطاب ويتفاعل معه ، من هنا نالت الاستعارة نصيباً وافراً في الدراسات الحجاجية المعاصرة ، إذ اتجهت أقلام الباحثين الشرقيين منهم والغربيين متجاوزين النظرة الضيقة القديمة داعين الى تفسير أوسع لمجمل القضايا البلاغية ، كما نال المتلقي حظا أوفر من الاهتمام في خضم هذه الدعوة بوصفه مكملاً للخطاب ، وانطلاقا من ذلك أراد البحث إظهار الأبعاد الحجاجية للاستعارة ،ودورها في العملية الإبلاغية التواصلية ،واخترت سينية ابن الآبار الاندلسي مجالاً للتطبيق ؛لأنني وجدت في شعره سمات الحجاج مما يجعله مؤثراً فاعلا في نفسية متلقي الخطاب اقتضت طبيع البحث أن يقسم على:-

-المقدمة

-المبحث الأول : (مدخل نظري) وتم الحديث في عن ماهية الحجاج في اللغة والإصطلاح، ومن ثم جرى الكلام فيه عن الحجاج والاستعارة في التراث البلاغي عند العرب والغربيين

المبحث الثاني (الجانب التطبيقي) حجاجية الإستعارة في سينية ابن الأبار

حجاجية الاستعارة في الخطاب الشعري عند ابن الآبار

مدخل

الخطابات متنّوعة في اللغة العربية وتتنوع بتنوع الوظائف اللّغوية ومقاصد المتكلمين وتأخذ هذه الخطابات أشكالًا مختلفةً طبقاً لإختلاف اللّغات والمنعكس التأثيري الموجه إلى المتلّقي قصد التأثير فيه أو إقناع الذّات ، الخطابات على في اللّغة العربية تنقسم على نوعين من الخطاب خطاب شعري وخطاب نثري لذا كانت الحجاجية صفة ذاتية لهذه للّغة .والحجاج آلية تهدف إلى التّأثير والإقناع ، (والاستعارة من الآليات الجوهرية للخطاب اللّغوي الحجاجي، والتي تتميز بها اللّغات الطبيعية، ولقد نظر الدارسون إلى الحجاج على أنّه عبقرية الإبداع اللّغوي، والحجاج لا يفهمه إلا من كان ذا معرفة موسوعية على ما يحملُه من مضامين وعلى ما يحملُه من آليات لُغوية متنوعة تؤثر في المتلقي.) [1] .وقد نال الحجاج نصيبا وافرا من الدراسة والاهتمام من قبل الدارسين في العصر الحديث ؛ حيث كانت الدعوة

للبلاغة لمفاهيم جديدة في دراسة الخطابات اللّغوية باختلاف خطابات اللّغة العادية (اليومية)، وخطابات اللّغة الأدبية)، وأصبحت تتسع لتكون علما ؛ لأن اللغة العربية تتسع لتستوعب المفاهيم والمصطلحات العصرية المعاصرة والجديدة والعملية الحجاجية عملية تقوم على ركنين اساسين : الخطاب والمخاطب ، ولابد من امتزاجهما ليحدث الاثر التفاعلي بين المخاطبين لحمل المخاطب على فعل معين مقصود ، من خلال المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها لاستنتاج فحوى الخطاب (وباعتبار الكلام هو الخطاب , والخطاب هو الحجج ،وهو الصفة المجازية وان الاصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية بناء على انه لا كلام بغير خطاب اذ حقل الخطاب هو الخطاب، والأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناءاً على أنه لا خطاب بغير حجاج ، ويوصف بأنه طبيعة في كل خطاب، والأصل في الحجاج هو صفته المجازية. على أنه لا حجاج بدون مجاز والأصل في مجموع الكلام ، هو الخطاب لأنه لا كلام بدون خطاب، وحقل الحجاج هو التفاعل بين المخاطبين، والأصل في مجموع الخطاب هو صفته الحجاجية لأنّه لا خطاب بدون حجاج، والأصل في الحال موجه إلى التأثير.)[٢].

ماهية الحجاج في اللغة: وردت لفظ الحجاج واشتقاقاته في المعاجم اللغوية "يُقَالُ: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها؛ وقيل: مَعْنَى قَوْلِهِ لَجَّ فَحَجَّ أَي أَنه لَجَّ وتمادَى بِهِ لَجاجُه، وأَدَّاه اللَّجاجُ إِلى أَن حَجَّ البيتَ الْحَرَامَ، وَمَا أَراده؛ أُرِيد: أَنه هاجَر أَهلَه بلَجاجه حَتَّى خَرَجَ حَاجًّا. والمَحَجَّةُ: الطَّرِيقُ؛ وَقِيلَ: جادَّةُ الطَّرِيقِ؛ وَقِيلَ: مَحَجَّة الطَّرِيقِ سَنَنُه. والحَجَوَّجُ: الطَّرِيقُ تَسْتَقِيمُ مَرَّةً وتَعْوَجُّ أُخْرى (...) والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً؛ نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه."[٣] وينقل ابن منظور قول الأزهري فيقول:" الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الْحَدِيثِ: "فَحَجَّ آدمُ مُوسَى"[٤]. أَي غَلَبَه بالحُجَّة. واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسْلَكُ. وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ:"[٥] ومن خلال التعريفات السابقة يتبين بأن مصطلح الحجاج يتبين من خلال لفظ "حجاج" يأخذ دلاله ومعّنى مستمدا من طبيعة سياقية أو شرطه أو التخاطب أو التخاصم، التنازع، الجدل، الغلبة ... ؛ أي بمعناه الفكري والتواصلي[٦]. اما في الاصطلاح يعرف الحجاج " بأنّه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المخاطَب نمطًا معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الّذي مكن أن يسير فيه الحوار، والقيمةالحجاجية لقول ما هي نوع من \الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره"[٧].والحجاج هو مايؤدي إلى نتائج معينة تأثيرية على المخاطَب، من خلال تلك المواد اللّغوية التي تم توظيفها وتشغيلها داخل الخطاب "فالحجاج هو مؤسس على بنية الأقوال اللّغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب[٨].وتركز سامية الدريدي على وظيفة الحجاج فتقول:"وهي حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع"[٩]. ويظهر جليا ما يحمله الخطاب من موسوعية واسعة بآليات لغوية، ووسائل متنوعة كآلية الحجاج التي تسعى إلى التّأثير في المتلقي بمسألة ما أو قضية ما أو تزيد من شدة التّأثير عن طريق الحجاج إلى حمله إلى فعل ما أو تهيأته إليه. إذاَ: هو المنطوق الموجه إلى الغير قصد إقناعه بالمسألة التي يحق له الاعتراض عليها إذ حد الحجاج أنّه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض. ويظهر الحجاج سمة في الخطاب وآلية فيه ووسيلة يتحقق بها الخطاب، والخطاب كل منطوق موجهاً إلى الغير قصد إقناعه بالمسألة التي يحق له الاعتراض عليها[١٠] عليها.وهو سمة في الخطاب وآلية من آلياته ووسيلة يتحقق بها من خلال التعريفات السابقة يتبين لنا بأن؛ الحجاج نشاط إقناعي يوجهه المتكلم على شكل خطاب، أو منطوق يستعمل تقنيات لغوية معينة يهدف من خلاله للتأثير في المتلقي ، وكسب تأييده ،ورضاه.

الحجاج في التراث البلاغي والنقدي عند العربمن خلال النظر في التراث البلاغي العربي نجد لهذا المصطلح جذوره الموغلة في القدم، وكان من الأوائل الذين التفتوا إلى مصطلح الحجاج الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في كتابه البيان والتبيين ،إذ يقول:" وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة. ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الافصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر[١١].ولعل من الإشارات الواضحة لرسوخ بلاغة الحجاج عند الجاحظ ، قوله وهو يروي عن إسحاق بن حسان بن قوهيّ فيقول :" لم يفسّر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط. سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في

الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل"(١٢).ويتردد المصطلح عند أبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين ويضع له عنوانا يسمى (الاستشهاد والاحتجاج) ويسهب في الحديث عنه لأنه؛ واقع في كلام القدماء والمحدثين يقول:" وهذا الجنس كثير فى كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته(١٣).ويضع السكاكي الاحتجاج تحت علم الاستدلال ويريد به " اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه عنه بوساطة تركيب جمل، وقولي بوساطة تركيب جمل تنبيه على ما عليه أصحاب هذا النوع من إباء أن يسموا الجملة الواحدة حجة واستدلالا مع اكتساب إثبات ونفي(١٤)، والاستدلال علم من علوم المنطق ويختص بإقامة دليل لإثبات المطلوب وهو الخبر(١٥). ويوظف ابن وهب مصطلح الحجاج في كتابه (البرهان في وجوه البيان) والمنثور عنده "ليس يخلو من أن يكون خطابة ،أو ترسلا،أو إحتجاجاً،أو حديثاً(١٦). ويرى أنه يستعمل في المعاتبات والاعتذارات وغير ذلك مما يجري في الرسائل والمكاتبات والبلاغة(١٧). وإن الغاية منه هو الزام الخصم بالحجة ، وانه خصص مبحثا كاملا فيما يتعلق بالجدل والحجاج، وهو بذلك يكون من اكثر البلاغيين القدماء الذين بسطوا القول في الحجاج وتطرق الى أكثر تفاصيله(١٨)، ومن خلال الكلام السابق نستطيع القول بان مصلح الحجاج قد حظي باهتمام البلاغيين القدماء بوصفه وجها مهما من أوجه البلاغة ، وقد تعرضوا كثيراً في كتبهم الى استعمالاته وآلياته والآداب التي يجب أن يتحلى بها المحاجج ، على الرغم من قلة العناية به حال الفنون البلاغية الأخرى، اذ كان موزعاً بين الاستدلال والاستشهاد وغيرهما ، الا أن حضوره كان مميزاً في بعض المؤلفات كما فعل ابن وهب ، الذي خصه بمبحثين دلل فيها على لطائف الحجاج واهميته في النصوص.

الاستعارة: قبل الحديث عن أية قضيّة سواء أكانت لغوية أو غير لغوية لابد من الرجوع إلى جذورها وبوادرها الأولى ، فلا يمكن الحديث عن حجاجيّة الاستعارة في العصر الحاضر دون الرجوع إلى الأصول الأولى لهذه القضيّة، والتي يرجعها أكثر الباحثين إلى أرسطو، ولا يمكن بحال غض الطرف عن الدّراسات العربية القديمة، والتي تعد النّموذج الأمثل والمثال الأعلى لدقّة التناول وسعة الطرح، وأبرز من نعني من هؤلاء عبد القاهر الجرجاني الذي تنبّه إلى السّمة الحجاجيّة للاستعارة، وسنرى كيف أنّه سبق زمانه وتجاوز نظرة معاصريه للاستعارة، ويعد الجرجاني قد سبق السّكّاكي الذي وضع قواعد في الجمع بين المتباعدين هي في الحقيقة من دعائم النّظريّة الحجاجيّة للاستعارة، لنثبت من خلال هذه النّماذج أن الاستعارة من أوّل القضايا التي حير ت العلماء والمفكّرين لما تحويه من أثر في النّفوس، وما تملكه من فعل في العقول.

أ- **حجاجية الاستعارة في الدّراسات الغربيّة القديمة (عند أرسطو):**تعد البلاغة الغربيّة امتداداً لبلاغة أرسطو التي هيمنت زمناً طويلًا على الفكر الغربي، فلم يستطع التّخلّص منها، فسادت الفكرة التي تقول أنّ" أصل الـ بلاغة ا لغربيّة أرسطيّاً، بل أثينيا"(١٩)، واستقرت على جعل البلاغة "ذات صيغة محسناتية رغم ماأكتنف بداياتها من تلميحات حجاجيّة تجعل من هذه المزيّنات روافد لغويّة ودعامات تسعى إلى بعث الإقناع والفعل، لا إلى الاستمتاع الجمالي غير العابئ بالتّأثير وتعديل السّلوك"(٢٠).تناول أرسطو الاستعارة في موضعين من كتاب الخطابة،فقد تحدث عنها في باب الشّاهد الذي فرعه إلى ثلاثة أجناس وهي الشّاهد الواقعي والشّاهد الصّناعي المحتمل والشّاهد الخرافي، وفي هذا الموضع يعد الاستعارة مقوماً حجاجيّاً، كما تحدث عنها في معرض كلامه عن الأساليب ليعتبرها محسناً لفظيّاً(٢١).أما في إطار حديثه عن بنية اللّغة الاستعاريّة فقد ربط أرسطو الاستعارة بعدة مفاهيم على النّحوالآتي:الاستعارة والتخييل إن أهم ما تحدث عنه ارسطو في موضوع الاستعارة ، هو أنه أدخلها من ضمن المحاكاة (التخييل) لأنها السمة التي تخرج الخطاب عن المألوف الى الغريب ، وهذا التخييل مهم في النصوص الشعرية ؛لأنه يحقق المتعة النفسية للمتلقي(٢٢).

ب- **الاستعـــــارة والنّقل:**يعرف أرسطو الاستعارة باعتبارها نقلًا أو تغييراً، كما يقسّم هذا النّقل إلى نقل بسيط ويخصّه بالخطابة، ونقل مركّب يخص الشّعر، أمّا عن الوظيفة الجمالية لهذا النّقل فيجعلها ثلاث وظائف مترابطة، وهي الإفهام من خلال كونها تزيد من الوضوح، والتغريب العائد الى مخالفتها المألوف، والمتعة التي ترجع الى التخييل الذي يكسب القول لذة ومتعة وهذه الوظائف لا تأتي الا من خلال الاستعارةالاستعارة واللّفظ: يحصر أرسطو الاستعارة في اللّفظ، وهذا واضح من خلال تناوله إيّاها في باب العبارة ، فيجعلها قائمة على المحور الاستبدالي للغة ، لأنها تتعلق بكلمة واحدة لها معنيان ، حقيقي ومجازي ، وتحصل الاستعارة عند استبدال لفظة مجازية بلفظة حقيقية، ووفق مبدإ الاختيار والانتقاء تجمل الاستعارة باللّفظ الجميل، وتقبح باللّفظ القبيح. الاستعارة والزخرف البلاغي: يرى أرسطو أنّ الوظيفة الأساسيّة للاستعارة هي وظيفة زخرفيه، فهي لا تملك أيّ وظيفة معرفيّة، وإنما دورها جمالي فقط. وهذه هي النّظرة الغالبة على سائر البلاغة التّقليديّة. فلقد أجهزت بلاغة المحسنات على الاستعارة فألحقتها بصفة نهائية بالمقومات المحسناتية الترفيهية والمكتفية

بدغدغة الحس الجمالي عند المتلقي الإستعارة والتشبيه: تقوم هذه الاستعارة على المشابهة ،لذا لا يعتبر الاختلاف بينها وبين التشبيه كبيرا وإنما يكمن هذا الاختلاف في غياب أداة التّشبيه في الاستعارة وحضورها في التّشبيه.من خلال هذا الربط بين الاستعارة والمفاهيم السّابقة تتجلّى نظرة أرسطو للاستعارة، حيث يعتبرها أساس العمليّة التّخيليّة، وهي في هذا الإطار على رأس الصّور البيانيّة الأخرى، أمّا عن الخصائص الأخرى فهي ترسّخ النّظرة الضّيّقة للاستعارة من خلال حصرها على اللّفظ دون المعنى وجعلها زخرفاً لفظيّاً لا تملك قوة تأثيريّة ولا وتؤدّي وظيفة معرفيّة، وهذا من أعظم المآخذ على تفسير أرسطو للاستعارة، أمّا في ربطه بين الاستعارة والتّشبيه فهو بحراللّوم عليه، وذلك بجعل الاستعارة تشبيهاً غابت فيه الأداة، إذ لا ينكر عاقل ما بين الاستعارة والتّشبيه من البون والاختلاف، فالاستعارة تحوي من الخيال وتملك من الجمع بين المتناقضات ما لا يستطيعه التّشبيه، ففي الخطاب الاستعاري تنوب الفروق بين المستعار له والمستعار منه، وتتحقّق اللّحمة بينهما في الخصائص والصّفات، وهذا التّلاحم المرسوم من طرف المرسل يجعله في حوار مع المتلقّي، حيث يسعى إلى إنشاء الروابط بين المتناقضات وإزالة الفروق بين المتباعدات، وهذا ما جعلها نقطة محير ة في تاريخ الفكر الاسلامي(٢٣).

ب- حجاجيّة الاستعارة في الفكر العربي القديم (عند الجرجانيوالسّكّاكي):لقد أولع اللغويون والمفكرون والفلاسفة وعلماء الكلام بالبلاغة العربية لأنها ؛من العلوم العريقة التي نمت وترعرعت مع الإنسان على مر عصور، لذالا نجد علما من أعلام الفكر العربي الاّ لديه اهتمام بالبلاغة العربية لأنها أداة لصقل الكلام وحسن التّأليف، فنتج عن هذا إقحام البلاغة في فنون عديدة، حيث إنّ النّاظر في البلاغة العربيّةا لقديمة ي رى ف يه ا تلك القفز ات السّا بقة لأو لى الدالّة على نبوغ الفكر العربي القديم، فنجد فيهاكثيراً منالتّلميحات والإرهاصات التي وجدت في مؤلّفات الأقدمين، والتي أسّست على أكتافها نظريّات حديثة، ومردّ هذا إلى الفكر الموسوعيّ الذي امتاز به العلماء الأوّلون، فنجد البلاغة العربيّة القديمة تضاهي البلاغة الغربيّة لجديدةا في أمور كثيرة لا سيما تلك الخاصيّة التّداوليّة التي تربط بين االمرسل والمتلقي ، والتي تمخّضت عنها الصّبغة الحجاجيّة لكثير من مفاهيم البلاغة كالتشبيه وحسن التّعليل والمجاز ز والكناية والاستعارة، إلّا أنّ الاستعارة تعد في المقام الأوّل، فقد توجّه إليها علماء البلاغة والنّقد واللّغة فأشبعوها دراسة وتحليلًا، لتتبلور في أذهانهم القوة الكامنة فيها؛ تلك القوة التي يستغلّها المرسل بغرض إشراك المتلقّي في الخطاب، ومن ثم التّأثير فيه وإقناعه، وأهم من تبلورت لديهم فكرة (حجاجيّة الاستعارة) عبد القاهر الجرجاني ومن بعده محمّد بن علي السّكّاكي(٢٤).

الادّعاء وحجاجيّة الاستعارة عند الجرجاني: يعد عبد القاهر الجرجاني من أوائل العلماء الذين نضج لديهم الفكر البلاغي ، ومن خلال فكره تبلورت النّظرة الدقيقة لمختلف مفاهيم البلاغة، ومن أبرز هذه المفاهيم مفهوم الاستعارة الذي سنرى كيف ذهب فيه مذهباً سابقاً لأوانه متجاوزاً لعصره، وقد مثل الجرجاني المدرسة التجديدية في البلاغة ، وهو أوّل من فطن إلى الوظيفةالحجاجيّة للاستعارة، وهذا راجع إلى تأثّره بأساليب الحجاج المتعارف عليها، كالردّ على الأقوال والآراء، والادّعاء والإثبات والمعارضة والدليل والشّاهد والاستدلال والشّاهد وغيرها، وهذا واضح من خلال كتاباته التي يرسلها على شكل قضايا مدعّمة بالدليل والبرهان.تناول الجرجاني الاستعارة في إطار نظريّة النّظم التي ملكت عليه لبّه، والتي يحتجّ من خلالها على فضل المعنى على اللّفظ، ويجعل الاستعارة في المعاني وليس في الألفاظ، أي في إطار نظمها وسياقها، ليتحقّق فيها ما تطويه من سعة التّصوير ورحابتهوإعتبرحجاجيّة الاستعارة قائمة على مفهوم الادّعاء، فهي ليست حركة في الألفاظ، وإنما هي حركة في المعاني والدلالات، وهي ليست بديعاً، بل هي طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم على الادّعاء(٢٥).وهذا التّصور الجديد للاستعارة ظهر معارضاً للتّصور اللّفظي البديعي للاستعارة، وكان عبدالقاهر الجرجاني من أشد المدافعين هذا التّصور الجديد، فالاستعارة عنده هيعن ضرب من التّشبيه، ونمط من التّمثيل، والتّشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان(٢٦)، من هنا تعني حجاجيّة الاستعارة فعاليّتها في التّأثير على عن الألغاز والتعمية الأذهان والإفهام ونعني به كذلك "نوعاً خاصّاً من الاستدلال العقلاني ومن الفضائل المعرفيّة والإدراكيّة البعيدة(٢٧). لقد عالج الجرجاني بعقلانية منقطعة النظير مفهوم الادّعاء في للاستعارة، فإنّه في الواقع يقدم تصوراً بلاغيّاً لا يتضح الاّ بالجمع بين العقلي والنّفسي، فعندما تقول:"رأيت أسداً "، فإنّك على حد تعبير الجرجاني- «أفدت بهذه الاستعارة ما لولاها لم يحصل لك، وهو المبالغة في وصف المقصود بالشّجاعة، وإيقاعك منه في نفس السّامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وبأسه وشدته(٢٨)، وعبد القاهر من أوائل العلماء الذين فطنوا الى أن الطرق التي تسلكها الإستعارة لانهائية،ومتشعبة ، وتأثيراتهاغير محصورة فهي "أمد ميداناً، وأشد افتتاناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعةً وأبعد غورا"(٢٩). ومن خلال رأي الجرجاني يمكن أن نستخلص أهم مزايا الاستعارة فهي: الامتداد، الافتتان، الجريان،

الحسن، السعة العمق، الـ تشعب، الـ تفنن، الـ لسـ حر، الاسـ تحو اذ عـ لى الصدر، إمتاع العقل، مؤانسة النفس، فهي تحيل على الشّعري والجمالي، والفكري والعقلي، والنّفسي والانفعالي، وتجمع بين قطبين حجاجيين أساسين، هما العقل والنّفس، فإمتاع العقل ودغدغة الفؤاد أدعى إلى الإقناع وبهذا يكون الجرجاني هو صاحب الفكرة الأصل وإليه يرجع الفضل في النّظرية الخاصّة بحجاجيّة الإستعارة .

٢-دور الجامع في تحقيق حجاجيّة الاستعارة عند السّكّاكي:يرى السّكّاكي أنّ الخطاب برمّته يجب أن تتوفّر فيه شروط كثيرة لتتأكّد العلاقات بين أجزائه، وانطلق من تقسيم هذه العلاقات إلى علاقات ظاهرة وغير ظاهرة؛ فتتمثّل الظاهرة أساساً في التركيب النّحوي والذي يعد العطف أبرز وسائله"(٣٠) ، فضلاً عن هذا اتحـاد معاني الخبر الوارد في الخطاب سواءً في صورته الظاهرة الأوّليّة، أو من خلال تأويل الاختلاف الحاصل بينها إلى ما يحقّق هذا الوصل والاتحاد(٣١)، وهذه الخاصّية هي التي تتجلّى فيها قضيّة الأفعال الكلاميّة مما يظهر أسبقيّة الفكر العربي الإسلامي في كثير من المفاهيم الحديثة التي انتهى إليها الفكر العربي والغربي على حد سواء، أمّا عن العلاقات غير الظاهرة فتتمثّل فيما يسمّيه السّكّاكي (الجامع) الذي لا سبيل إلى تحقّقه إلّا بإشراك المتلقّي في الخطاب عن طريق إعمال عقله واستفزاز خياله، وأنواع الجامع ثلاثة، فالنّوعان الأوّلان يشترك جميع النّاس في كيفيّة فهمهما، وهما:

الجامع العقليّ: ويكون عن طريق:

اللإتحاد في التّصور.

التّماثل في التّصور.

التّضايف، كالسّبب والمسبب.

الجامع الوهميّ ويكون عن طريق:

شبه التّماثل بين المخبر عنه.

التّضاد: كالسّواد والبياض.

شبه التّضاد:كالسّماء والأرض، والأوّل والثّاني

يظهر في هذين النّوعين دور المتلقّي غاية الظهور، فعليه أن يسعى إلى إدراك هذه العلاقات عن طريق إعمال عقله وتحريك فكره، فإذا ذكر السّبب سعى إلى إيجاد المسبّب، وإذا غابت العلّة وجدها عن طريق التفكّر في المعلول، وهكذا في التّماثل وشبهه وكذا في التّضاد، فعلى المتلقّي أن يملأ فراغ الخطاب عن طريق إيجاد وجه التّماثل أو شبهه بين الشّيئين أو الأشياء، أمّا في الجمع بين الأضداد أيسر الأمور على المتلقّي ؛لأنّ "الضّد أقرب خطوراً بالبال مع الضّد "(٣٢). أمّا عن النّوع الثّالث؛ وهو الجامع الخيالي إذ يرى السّكّاكي أنّ النّاس يختلفون في إدراكه وتصوره على إختلاف ثقافاتهم وطرق تعلمهم ،وأشكال مهنهم ، ونوع نشاطهم ، فالقمر يراه السلاحي سلاحاً والصائغ سبيكة من الإبريز والمعلم يشكله رغيفاً أحمرا يناله من بيت ذي مروءة(٣٣). وخلاصة القول في الجامع في منظور السكاكي إن المعتبر فيه يعتمد على المتلقّي بدرجة كبيرة حتى تتحقّق سلامة العلاقات بين وحدات الخطاب، وكذا الدلالة العامّة التي تنطوي تحت هذه العلاقات التي ينشئها المرسل ويحققها المتلقي.

٤. حجاجيّة الاستعارة في الدراسات المعاصرة:لقد قامت الدراسات البلاغية المعاصرة بالتركيز على الدراسات القديمة ، وأدت إلى سيل من النّظريّات ووابل من العلوم، لاسيما فيما يتعلّق ببعض المعارف القديمة التي عادت إليها عقول المتأخّرين لتستخرج منها ما تطويه من مواهب و ما تحويه من طاقات ، ولعل البلاغة من أوفر هذه العلوم حظاً وأعظمها قدراً إذ عاد الدرس اللغوي عودة لا نظير لها إلى مختلف المفاهيم البلاغية القديمة، مستعملًا في ذلك ما انتهت إليه بعض العلوم والمعارف من نظريّات ونتائج، ومن أبرز هذه المفاهيم الاستعارة، التي لفتت أنظار الدارسين ، ولاسيما فيما يتعلق بطاقاتها الحجاجية ، ومكنوناتها الابداعية ، وأسرارها التأثيرية، وسنعرج على بعض النماذج التي تناولت النظرية الحجاجية .

أ- حجاجيّة الاستعارة و الفلسفة المعاصرة: تعد الفلسفة والبلاغة علمان وقديمان وعريقان عراقة التّفكير الإنساني، ولطالما قام التّحاور بينهما، إذ لا مفر للبلاغة من الفلسفة، ولا يمكن للفلسفة أن تكون خالصة من كل تداخل بلاغي، فلا يمكن للخطاب الفلسفي بحال أن يخلص من التوسّل بالبلاغة(٣٤).لقد ظلّت الفلسفة في حاجة دائماً إلى دعم بلاغيّ يشحن قاموسها ويفعّل تجاوزيّتها ، والبلاغة هي أصل الفلسفة وغايتها، فهي من أسّسها ، وتظهر الحاجة بصورة ملحة عندما سعى الفلاسفة إلى تجديد الخطاب الفلسفي(٣٥)، واستكملهاعن

"شكل لغويّ يضع حداً لهيمنة اللّغة الميتافيزيقيّة، ويزيد من رصيد القاموس المفاهيمي للخطاب الفلسفي الذي يتناسب مع النّسق التصوّري الباحث عن التّجاوز والتّجديد والنّقد"(٣٦).وفي خضم العودة للغة واستكناه طاقاتها الفلسفية اصطدم الفلاسفة مع مفهوم بلاغي، يحوي من المطّاقات الفلسفيّة والإمكانات الحجاجيّة ما يجعله أساساً في كل خطاب إنساني، وهذا المفهوم هو الاستعارة، التي لطالما اعتبرت فائضاً لغويّاً وزخرفاً لفظيّاً، وهي في الحقيقة "ضرورة لغويّة من صميم منطق اللّغة الطبيعيّة،وفي الخطاب الفلسفي تُكون موضعاً حجاجيّاً، من خلاله يستطيع هذا الخطاب إيجاد معانٍ جد يدةو أم اكن أخ رى ستيثمر ف يها حوارته، يطو ر مفاهيمه(٣٧). وبما أن الاستعارة هي لون من الوان المجاز ونوعاً من التخييل فهي ليست انحرافاً تصورّاً وانزياحاً عن مطلب الحقيقة، كما هي مطلوبة بالعقل، بل هي من إنجاز العقل نفسه، وهي في مقابل الحقيقة، فما كان طريقاً في أحدهما من لغة أو عقل فهو في طريق الآخر(٣٨) من أجل هذا أصبح موقع الاستعارة في الخطاب الفلسفي ضرورياً، وهذا من أجل الفهم، فلا «يمكن التّفكير في الاستعارة داخل الخطاب الفلسفيّ بوصفها محسّناً بلاغيّاً، بل بوصفها مكوناً داخليّاً من مكوناته (...)وربما كانت إحدى ركائزه "(٣٩).فإذا قمنا باستبدال مضمون الاستعارة فإنّنا نقع في حالة من سوء الفهم، فالاستعارة إنما هي تمثيل مركّب من التّخييل والتّصوير، وكلّما كان التّمثيل «حجاجاً كان برهانه أ نورَ وسـ لطانه أ قهرَ وبيانه أبهر "(٤٠)، وإذا تقرر أنّ الاستعارة تمثيل فهي إذاً برهان وسلطان وبيان.

المبحث الثاني: الإطار التطبيقي لحجاجيه الاستعارة لخطاب ابن الآبار

تمثل الاستعارة محورا حجاجيا وآلية من آلياته المهمة ، اذ لعبت دورا مهما في بناء الشاعر قصيدته السينية ، لأن الموقف الذي عليه الشاعر والمكان والزمان كلها ساهمت في تكثيف الموقف الحجاجي عنده، " لان التراكيب البيانية التي ينتجها مرسل الخطاب تكون حسب التصورات والمفاهيم الخاصة بالمجتمع الذي ينتمي إليه أطراف التواصل وبالحقبة الزمنية أيضا، والقيمة التي تحملها الصور البيانية قيمة اجتماعية أي أن أهميتها تحدث بفعل وضعها داخل السياق الاجتماعي، ممثلة بذلك ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه(٤١).

إنّ خطاب ابن الآبار الشّعري على الرغم من كونه يخاطب العاطفة والوجدان، وينشد إثارة الانفعال إلّا أنه مع ذلك يتوجّه إلى الفكر، ويوظّف تقنيات البرهنة والاستدلال على أحكام و دلالات يروم لإقنا اع ا بعد أن يكون قد خيّلها في النّفس انطلاقا من أساليب خاصّة تنسجم مع طبيعة الشّعر الجمالية وخصائصه الإيحائية. فالشّاعر يبني خيالاته من المحسوس ولا يمكن له بحال أن يتخلّص منه، "فهو منشأ الخيال وحيث لا يوجد حس لا يوجد تخييل."(٤٢)، وإذا وظّف التّخييل الرموز الطبيعية والحسيّة المترسّخة في متخيّل الإنسان، فإنّ ذلك يكون عنصراً مؤثّراً في حمله على الانسياق وراء أحكام المتكّلم وآرائه والتّسليم بصحّتها، أو الرسوخ في اعتقادها .واذا بني التخييل على الموز الطبيعية الترسخة في مخيلة الإنسان ، فإنّ ذلك يعني ذلك يكون عنصراً مؤثّراً في حمله على الانسياق وراء أحكام المتكّلم وآرائه والتّسليم بصحّتها، أو الرّسوخ في اعتقادها . وعلى هذا الأساس لا بدّ للشّعر أن يعتمد على عنصر الإقناع مدبّجاً بجلل الخيال، إذ الخيال يعجز وحده عن تحقيق ماهية الشّعر، ولا بد له أن يعضّد بالإقناع، الذي لا منأى عن حضوره في الشّعر، يقول حازم القرطاجني : "وقد تقدم أنّ التّخييل قوام المعاني الشّعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية، واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشّعرية سائغ إذا كان على وجه الإلماع في الموضع بعد الموضع، كما أنّ التّخييل سائغ الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع، وإنما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيراً فيما تقوم به الأخرى لأنّ الغرض في الصّناعتين واحد؛ وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام في النّفوس بمحل القبول لتتأثّر بمقتضاه"(٤٣). وظاهرة الاستنجاد في شعر ابن الأبار ظاهرة تبنى على اثارة "العاطفة ، وتنبعث من شعور صادق بآثار الحياة وحقائقها وأسرارها، وهي لذلك حرية تحركعقولهم، وتستثير عواطفهم، وتحملهم على التّفكير والتّأمّل في شؤون الدنيا(٤٤) ، ومطلع القصيدة ينبثق من ذلك الشعور العميق بفداحة الخطب ، وعظم المصيبة بعد أن رأى تهاوي الحصون والقلاع الأندلسية وسقوطها بأيدي عدو طامع حاقد على كل مايمت الى الحضارة العربية الإسلامية بصلة، يقول(٤٥):

أَدْرِكْ بخيْلِكَ خَيْلِ اللهِ أَنْدَلُسَـــــا إنَّ السَبيلَ إلى مَنْجَاتها دَرَسَا
وَهَبْ لهَا من عَزيزِ النَّصرِ ماالتمَسَتْ فلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عَزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا

هيكل القصيدة شكّله الشاعر على الحجاج، اذ إنّ تنقل الشاعر بين الوحدات الحجاجية والتي مثلت سلسلة من القضايا المنظمة وفق طريقة معينة تسمح بالانتقال من المقدمة إلى النتيجة بتسلسل منطقي.هذه المقدمة التي وتقوم مقام البرهان وتهدف بطبيعتها إلى تأكيد قضية أو دحضها، أما النتيجة فهي قول صالح ، ولقد صاغ تولمان TOULMIN الشكل الرئيس للوحدة الحجاجية بعدما اكتشف أنه بالإمكان دحض العلاقة " معطاة/ نتيجة" ونقضها، ويتكون هذا الشكل الحجاجي من المكونات التالية: النتيجة (الدعوى)، المقدمات (المعطيات)، الضامن

(التبرير)، السند (الدعامة)، ومؤشر الحال (التقييد)[٤٦]. وهنا اقام الشاعر اولى دعائمه الحجاجية حين إستعمل الأمر (وهب) في غير معناه الحقيقي الى معنى مجازي ، اذ ان استعمال الفعل (وهب) غالبا في معنى العطاء المادي الظاهر ، ولكن هنا لايدل على ذلك ، وانما أستعمل في تهياة مستلزمات النصر، والدعامة الثانية التي اقام الشاعر هي الاستعارة ، وهي وسيلة بيانية تقوم على الإقناع ؛لأن" التراكيب البيانية الموظفة في الخطاب أدوات إقناعية لها القدرة على أن تفعل في متلقي الخطاب ما لا تفعله الحقيقة. ومن أهم الصور البيانية التي كان لها حضور مكثف في البناء اللغوي للخطاب الشعري " الاستعارة" والحديث عن هذا النشاط البلاغي يعني إبراز حجاجية الاستعارة في السينية."[٤٧] . من ذلك قوله[٤٨]:

وحاشِ مما تُعانيه حشاشَتَها فطالما ذاقت البلوى صباح مسا

فالتجسيد ظاهر على النص الشعري حين شبه بلنسية بالإنسان الذي تجري فيه الروح فحذف الانسان وابقى لازمة من لوازمه (الحشاشة) ليجعل من تلك اللفظة بؤرة حجاجيه تلقي بضلالها على النص تزيد من قناعة المخاطب لما يطرحه الشاعر من افكار يعمق فيه المأسآة التي حلت بالأندلس مما يجعل المخاطب يشارك مشاركة وجدانية هذا الوقع المؤلم ، وتسلسل المشاهد المحزنة لمل حل بهذه المدينة من دمار وخراب ، فيقول[٤٩]:

يا للجزيرةِ أَضحَى أَهْلُهَا جَزَرًا لِلْحادِثَات وأَمْسى جَدُّهَا تَعَسَا
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلْمَامُ بَائِقَـةٍ يَعودُ مَأْتمهَا عِنْدَ العِدَى عُرُسَا
خَلا لَهُ الجَوُّ فامْتَدَّتْ يَدَاهُ إلى إِدْرَاكِ مَا لَمْ تَطأْ رِجْلاهُ مُخْتَلَسَا
وأَكْثَرَ الزَّعْمَ بالتَّثْليثِ مُنْفَرِدًا ولَو رَأى رَايةَ التَّوْحِيدِ مَا نَبَسَا

الشاعر يعمق المشهد بتتابع منطقي مؤثر مقرونٍ بمشاهد معززة بالبراهين والحجج المقنعة ابتدأها بالاستعارة ، حين شبه فعل الحوادث باهل الأندلس بفعل السباع المفترسة، فالحوادث والخطوب النوازل التي حلت بها ،لا تقل شأناً عن فتك الحيوانات المفترسة ، وهنا حجاجية إقناعيه أولى ، اما الثانية فهي تقديم الجار والمجرور الذي أفاد توكيد الحدث او تأكيد سنن الشاعر في تقديم ماهو مهم ، وهو ديار الاندلس ،ليكون أشد وقعا في نفس المخاطب، ومن ثمإحداث التأثير المناسب وتحقيق المقصد. من هنا جاء الشاعر بلفظتي (شارقة / غاربة) نكرة، لما في ذلك من إيحاء على أن الشارقة والغاربة ما هي إلا دليل على تمكن النصارى من تلك الديار وانتشار نفوذهم وسطوتهم على المدائن الأندلسية كافة. مستفيداً من دلالة التنكير على التعميم، هذا من جانب، من جانب آخر تبرز في هذين البيتين ميزة دلالية أخرى تنضوي تحت بنية التضاد التقابلي الذي ولد توازياً تركيبياً أفضى من الوجهة الدلالية ،إلى أن هذه المأساة نالت كل مدينة فيالأندلس[٥٠]، وتتصاعد وتيرة الاستنجاد عند الشاعر ليصور حجم الخسارة التي حلت بالأندلس، بواسطة بنية تقابليه بين بين الماضي القريب حيث القوة والغلبة للإسلام وبين حاضر كئيب مؤلم ، يقول[٥١]:

مَدَائِنٌ حَلَّهَا الإِشْرَاكُ مُبْتَسِمًا جَذْلانَ وارْتَحَلَ الإِيمَانُ مُبْتَئِسَا

لأجل ان يصل الشاعر الى إقناع الأمير بفكرته لجأ الى إثارة مشاعره وعواطفه من خلال اثباتٍ مفاده إنّ الاسلام قد طمس من تلك الديار التي كانت عزيزة به ،ليحل محله الشرك والطغيان ؛لأن بث النخوة وشد العزيمة تتم من خلال اثارة العاطفة الدينية ، لذا نجح الشاعر في مسعاة ، اذ أن الأمير أرسل بعد ذلك جيشا لنصرت أهل الأندلس، فحجاجية الاستعارة إذاً شكلت محورا اقناعيا مهما وآليةَ عظيمة لا يمكن تجاوزها ، ولفظ (مبتسما) و(مبتئسا) استعارة مكنية ، اذ شبه الشرك بالإنسان المبتسم فحذف(الإنسان)المشبه به وأبقى لازمة من لوازمه (مبتسم) و(مبتئس) ليعطي بذلك دلالة قوية بأنّ الحفاظ على الدين والأرض يحتاج الى الوحدة والتمسك بحبل الله المتين ويمكن أن نعطي المعادلة الحجاجية الآتية: عدم التمسك بالدين والتفرقة وإتباع الهوى ـــ يؤدي الى أن يسلط الله الأعداء والمشركين على المدن وبالتالي تلاشي الايمان وقوله[٥٢]:

وصيرتها العوادي العائِثات بها يستوحش الطرفُ منها ضعفَ ما أنسا

الشاعر في محاولته تجسيم هول الحادثة ليسند الاحداث الى غير فاعلها الحقيقي لأجل أن يحقق بنية حجاجية مؤثرة يستنهض بها الهمم ويبعث النشاط في الضمائر التي غطتها الحجب بالميل الى الهوى ، وحب الدنيا ، والابتعاد عن منهج الله القويم الذي إرتضاه لهذه اللأُمة، فالتصيير ليس للنائبات ، والوحشة ليست للطرف ، وانما هي للانسان ، وهو بذلك أوجد نوعا من المبالغة ساعدت في حجاجية البيت الشعري وقوله[٥٣]:

وأربعاً نمنمت أيدي الربيع لها ما شئت من خِلع مؤْشِية وكسا

كانت حدائقَ للأحداق مونِقةً فصوح النضر من أدواحها وعسا

فالبنى الاسنادية(المجازية) في البيتين هي بنى حجاجية أوردها الشاعر لإقناع المتلقي لما يريده ، فقد اسند النمنمة (النقش) الى الربوع ، والأيدي للربيع ، وهنا استعار صفات الأنسان في قدرته وقتداره ،ليعطيها الى الربوع والربيع وليمازج بينها بالوان بلاغية تتظافر في انتاج قوة حجاجية مؤثرة في متلقي النص ، ومنها : الحذف في قوله (أربعا) أي أُذكر اربُعا وهذا الحذف انما يرد" في عملية الاتصال اقتضا لحاجة المقام والمقال، ولإفراز حمولات دلالية وطاقات إيحائية ترفد بنية الخطاب عموماً بقيم جمالية وفنية قادرة على خلق حالة نفسية وانفعالية مؤثرة تسهم في تحقيق الوظيفة التأثيرية أو الانتباهية عند المتلقي))[٥٤].

وقوله[٥٥]:

سُرعان ما عاثَ جيشُ الكُفر واحربا عيثَ الدبا في مغانيها التي كبسا

وابتـزَّ بزَّتهـا ممـا تَحيَّفَهـا تَحيِّف الأَسَدِ الضّاري لما افْتَرسا

فـأين عيشٌ جنَيناه بها خَضراً وأين عصر جلَيناه بها سلسا

يعود الشاعر بعد ذكريات جميلة رسخت في مخيلته ، ليجسد المأساة التي حلت بالأندلس بتصوير استعاري يفعل فعله بالمتلقي ليلامس مشاعره وأحاسيسه ، فيجعل المشاركة وجدانية يشارك فيها اطراف العملية التواصلية (المتكلم)(الشاعر) و (المخاطب) (الامير ، والشعب) فلما أراد الشاعر التأثير وكسب التعاطف لإنقاذ الأندلس راح يصورها بهيئة عروس جردت من ثيابها ، مما يجعل المشهد اكثر اثارة واشدُّ وقعا ، فيهرع للنجدة ، ويثير فيه الحمية للدفاع عن عرضه، ويتبعها بصورة أُخرى فيشبه الأعداء لما ارتكبوه من ظلم وفضائع بحق الأندلسيين بصورة الاسود الضارية التي لا تعرف الرحمة، وهو بذلك يقدم حجاجييه متلاحقة متتابعة ،يؤكد فيها أنَّ للاستعارة دوراً مركزيا في بناء النص الحجاجي.، وقد يعمد الشاعر الى تكثيف حججه عن طريق المبالغة في اسناد الصفات للممدوح ، كقوله[٥٦]:

تَمْحُو الذِي كَتَبَ التَّجْسِيمُ مِنْ ظُلَمٍ والصُّبْحُ مَاحِيَةٌ أَنْوَارُه الغَلَسَا

الشاعر يحاول استدرار عاطفة متلقي السينية وتغيير موقفه الفعلي بواسطة الاستعارة التناسبية والتي تعني" وضع شيئين غير متشابهين في وضع المتشابهين اعتمادا على ربطهما بعلاقة متشابهة وهذا التشابه الطارىء في التناسب يكتسب بفضل هذا الربط"[٥٧]. ما عن أطراف التناسب التي يتوفر عليها الملفوظ (٢٨) فتتمثل في العناصر الآتية:لأمير أبو زكرياء الحفصي(أ) يتسم بصفة القدرة على محو الظلم (ب) كما تتسم أنوار الصبح (ج) بصفة محو الغلس (د)، وكل من (ب) و(د) / (الظلم) و(الغلس) تربطهما علاقة مشابهة إذ إن (الغلس/ الظلام) هو الفضاء الزمني الصالح لفعل المنكرات والأفعال المريبة (الظلم/الجور)[٥٨].فتناسب الألفاظ كانت ذو كفاءة حجاجية نظراً لصيغته شبه الرياضية، فضلا على أن الأمر يتعلق بتشابه العلاقات لا المواد والجواهر."ينظر المصدر نفسه" وهي كالآتي:

الأمير (أ) أنوار الصبح (ج)

= = الأمير يمحو الظلم= أنوار الصبح تمحو الغلس

يمحو الغلس(ب) يمحو الظلم(د)

فالصورة الاستعارية التي يقدمها الملفوظ(النص) هي عنصر مركزي في عملية التأثير لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالحجج التي يمثلها السند (ح٨،ح٩، ح١٠، ح١١، ح١٢) والتي مفادها أن أبا زكريا الحفصي هو القادر على نجدة بلنسية. إن التماهي البلاغي بين الطرفين (أبو زكرياء الحفصي/ أنوار الصبح) يبينه وجه الشبه بين المشبه والمشبه به والذي يمثل وحدة معجمية صغرى تظهر في الحقل الدلالي للممدوح (الأمير) ممثلا في (البطولة / الشجاعة/العدل/الطهارة /الرحمة) وهذه الوحدة (محو الظلم) تؤدي دورا أساسا في إقامة الترابط والانسجام في التركيب اللغوي[٥٩]." إن هذه الصفات التي يتمتع بها متلقي الخطاب هي التي سوف تمكنه من استرجاع دولة الإيمان والعدل إلى دولة الأندلس بعد أن حل بها الشرك والظلم.

الخاتـــــــــمة

في نهاية البحث لابد من أن نذكر اهم النتائج التي توصل اليها البحث والتي جاءت بعد مهاد نظري تلاة مبحث تطبيقي لحجاجية الاستعارة في شعر ابن اللأبار الأندلسي وهي مايأتي:الشعر العربي عموما والأندلسي خصوصا ميداناً خصبا للحجاج وآلياته ، مما يجعل منه مجالاً ثرياً للدراسات الحجاجية المعاصرة لان له جذوراً عميقة متأصله في ألأدب العربي ٠كان للاستعارة الحجاجية صدى كبيراً في العلوم اللغوية

وعدّها ذات أثر عظيم في تقوية الخطاب الأدبي ومشاركة المتلقي فية باعتباره ركناً مهما في عملية التفاعل والتأثير والإقناع٠مصطلح الإستعارة الحجاجية مصلح موغل في القدم في التراث العربي والغربي، ويمكن التأصيل له مع بداية الفكر الإنساني ، والدليل على ذلك تناول ارسطو له، وكذلك البلاغيون العرب ، الذين ظهرت لديهم بوادر النظرية الحجاجية أمثال عبد القاهر الجرجاني والسكاكي٠النظرية الحجاجية العربية القديمة جاءت موافقة الى حد بعيد االنظرية الحجاجية المعاصرة لاسيما في مفهومي الإدعاءعند عبد القاهر الجرجاني ، والجامع بين الطرفين عند السكلكي، الذي يجعل المتلقي يشارك في فك رموز العلقة الحجاجيةمثلت سينية ابن الابار الأندلسي صورة معبرة عن الواقع المؤلم اذي الم بالوطن الأندلسي ،لونها بالأستعارة من خلال ربط الحسي بالخيالي ، مما جعل الاستعارة تمثل حلقة وصل بين واقع الشاعر المؤلم وخيال المتلقيعبرت إستعارات ابن الأبار عن نفسيته أبية حريصة على الوطن والدين المبغضة للذل والهوان حين جمع بين شجاعة الممدوح ووصف الجو المرتقب لماينبغي فعله في المستقبل ليصل الى التأثير في كسب عاطفة اللممدوح من خلال استثارة العاطفة الدينية فيه٠

الهوامش والمصادر

(١) الاستعارة الحجاجية في الخطابات اللغوية: ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) لسان العرب، فصل الحاء

(٤) مسند أحمد ابن حنبل :٣٤٣/١٢.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ينظر آليات تشكيل الخطاب بين نظرية البيان ونظرية البرهان:١٧٣

(٧) الحجاج واللّغة، منتديات سور الأزبكية، الدار البيضا، ط1، 1426هـ.

(٨) حجاجية الاستعارة في الخطابات اللغوية:١٩

(٩) ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم:٢١

(١٠) ينظراللسان والميزان أو التكوثر العقلي:٢١٣

(١١) البيان والتبين:٩٢/١

(١٢) المصدر نفسة:١١٤/١

(١٣) الصناعتين: ٤١٦

(١٤) مفتاح العلوم: ٤٣٨/١

(١٥) ينظر خلاصة المنطق ،عبد الهادي الفضلي،مؤسسة ام البنين ،بيروت– لبنان:٤٨

(١٦) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب: ١٩١.

(١٧) ينظر : المرجع نفسه

(١٨) ينظر المرجع نفسه

(١٩) مدخل إلى الحجاج،افلاطون وأرسطووشايم بيرلمان ،محمد الولي،مجلة عالم الفكر،عدد: ٢،مجلد٤٠: ص٣٣

(٢٠) المرجع نفسه

(٢١) ينظر المرجع نفسه:٣١

(٢٢)ينظر : حجاجيه الاستعارة في الادب العربي:٣٣.

(٢٣) ينظر حجاجية الاستعارة في الأدب العربي:٣٣

(٢٤) ينظر حجاجية الإستعارة في الأدب العربي:٣٦.

(٢٥) مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويون والنقاد والبلاغيين :٨٠–٨٢

(٢٦) أسرار البلاغة ،٢٠

(٢٧) مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويون والنقاد والبلاغيين: ٩٠

(٢٨) اسرار البلاغة:٣٢

(٢٩) المصدر نفسه: ٤٠

(٣٠) مفتاح العلوم :١١٩

(٣١) ينظر المصدر نفسه :١١٨.

(٣٢) مفتاح العلوم:١١٠.

(٣٣) ينظر المصدر نفسه:١١١.

(٣٤)ينظر حجاجية الإستعارة في الخطابات اللغوية :٢١٠

(٣٥) ينظر الفلسفة والبلاغ

(٣٦) ينظر المرجع نفسه :١٥٤.

(٣٧) المرجع نفسه :١٥٥

(٣٨)ينظر فلسفة البلاغة:١٦٠

(٣٩) مفارقات الخطاب الفلسفي بين الاستعمال المفاهيمي للّغة والاستعمال الاستعاري، مجلّة الفكر العربي المعاصر، العدد100-101، بيروت 1993، ص 65.

(٤٠) أسرار البلاغة :١١٥

(٤١) التواصل التفاعلي في سينية ابن الأبار البلنسي أ/ ابتسام بن خراف جامعة الحاج لخضر باتنة – الجزائر

(٤٢) الصورة الفنية جابر عصفور: ٧٣

(٤٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ،تحقيق محمّد الحبيب بلخوجة ، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت 1986، ص 361.

(٤٤) ينظر: أصول النّقد الأدبي: أحمد الشّايب ، ص٢٩٩

(٤٥) الديوان/٤٠٨

(٤٦) ينظر الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، ملتقى علم النص، جامعة الجزائر،ع١٢، ١٩٩٧، ص ٣٢٩.

(٤٧)التواصل التفاعلي في سينية ابن الأبار البلنس

(٤٨)الديوان:٤٠٨

(٤٩) المصدر نفسه

(٥٠) ينظــر: سينية ابن الأبار الأندلسي مقاربة دلالية. مجلة التربية والعلم – نادية فتحي هاديد. عائشة خضر احمد، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، المجلد (١٧)، العدد (٣)، لسنة ٢٠١٠

(٥١) الديوان /٤٠٨

(٥٢) (الديوان:٤٠٩)

(٥٣) "الديوان:٤٠٩

(٥٤) البحث الدلالي في كتاب سيبويه:٣٥٥.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦)ينظر الديوان:

(٥٧) ينظر اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص٣١٠.

(٥٨) التواصل في سينية ابن الابار: ٨

(٥٩) محمد الولي، الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، فكر ونقد، ع٦١.

المصادر والمراجع

- آليات تشكيل الخطاب بين نظرية البيان ونظرية البرهان، هاجر مدقن، مجلة جامعية محكمة ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، دار الأثر، مارس ٢٠٠٦م.
- الاستعارة الحجاجية في الخطابات اللغوية ، صلاح الدين يحي، جامعة مولود معمري، تيزي وزّو– الجزائر.
- أسرار البلاغة ,عبد القاهر الجرجاني , تحقيق محمود محمد شاكر ,دار المدني، ط١, جدة ١٩٩١م.
- أصول النقد الادبي, احمد الشايب , مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط١، ١٩٣٧.
- البحث الدلالي في كتاب سيبويه، دلخوش جار الله حسين ، مطبعة روان، السليمانية ،٢٠٠٤م.
- البرهان في وجوه البيان ، اسحاق ابن وهب، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مكتبة الرشد ط١، ٢٠١٢م.
- البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أنموذجا ،الحواس مسعودي، ، مجلة اللغة والأدب، ملتقى علم النص، جامعة الجزائر،ع١٢، ١٩٩٧م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
- التواصل التفاعلي في سينية ابن الأبار البلنسي أ/ ابتسام بن خراف، جامعة الحاج لخضر باتنة – الجزائر.
- الحجاج في الشعر العربي القديم ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.
- الحجاج واللّغة، منتديات سور الأزبكية، الدار البيضاء، ط1، 1426هـ.
- حِجَاجِيَّةُ الاسْتِارَعَةِ فِي الشِّعْرِ الْعَربيِّ– دِيوَانُ الْمُتَنَبِّي أُنْمُوذَجاً –رسالة ماجستير،: البشير عزّوزي جامعة اكلي محند أو الحاج – البويرة– كلية الآداب واللغات ، الجزائر،٢٠١٤
- خلاصة المنطق ،عبد الهادي الفضلي،مؤسسة ام البنين ،بيروت– لبنان.
- ديوان ابن الأبار ،ابي عبدالله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي(٦٥٨هـ) ، تحقيق عبد السلام الهراس، المغرب، ١٩٩٩م.
- الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العنصرية بيروت،: ١٤١٩ هـ.
- الصور االفنية في التراث الفقدي البلاغي عند العرب , جار عصفور ,والكتاب اللبناني بيروت ط١ ٢٠٠٣ م.
- فلسفة البلاغة (مقاربة حجاجيه للخطاب الفليقي) الدار العربية للعلوم ناشرون ط١ بيروت –لبنان ٢٠٠٩ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)دار صادر – بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ.
- اللسان والميزان والتكوثر اللفظي، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب ط٢ ، ٢٠٠٦م.
- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء ـ المغرب، ط١ ، ٢٠٠٦م.
- مدخل إلى الحجاج،افلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان ،محمد الولي،مجلة عالم الفكر،عدد: ٢،مجلد٤٠.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- مفارقات الخطاب الفلسفي بين الاستعمال المفاهيمي للّغة والاستعمال الاستعاري، مجلّة الفكر العربي المعاصر، العدد100–101، بيروت 1993.
- مفتاح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ،تحقيق محمّد الحبيب بلخوجة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.